ثورة عام ٦٣هـ ووقعة الحرة
دراسة تاريخية

علياء جاسم محمد احمد
م. م. قسم التاريخ
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

المقدمة:

تولى معاوية بن ابي سفيان حكم الدولة الاسلامية بعد عقده الصلح مع الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهما السلام) سنة ٤١هـ [١] والذي تضمن شروطاً للامام الحسن (عليه السلام) على معاوية اهمها ولاية العهد [٢] ، وما لبث معاوية ان نقض الصلح واخذ البيعة لابنه يزيد بجعله ولياً للعهد وكتب الى زياد عامله على البصرة : ((ان المغيرة قد دعا اهل الكوفة الى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي ، وليس المغيرة بأحق بابن اخيك منك ، فاذا وصل اليك كتابي فادع الناس الى مثل مادعاهم اليه المغيرة ، وخذ عليهم البيعة ليزيد ...)) [٣].

وبموت معاوية بن ابي سفيان اصبح يزيد حاكماً للدولة الاسلامية، وبعث الى الامصار من يأخذ له البيعة وفي المدينة رفض بيعته الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) وعبد الله بن الزبير [٤] .

اما اهل العراق فكانوا يبعثون الرسل والكتب للامام الحسين (عليه السلام) يدعونه اليهم ، وقد ولى يزيد عبيد الله بن زياد العراق وامره بقتال الحسين[٥] (عليه السلام) ، الا انهم خذلوه فكانت فاجعة كربلاء الاليمة في العاشر من محرم الحرام لسنة ٦١هـ [٦] وفي مكة اخذ ابن الزبير يدعوا البيعة لنفسه [٧] وامتنع من بيعة يزيد فكان يسمه السكير الخمير واخرج عامله منها [٨] .

بداية الثورة:

قَدِمَ وفدُ من اهالي المدينة الى يزيد ومنهم عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر وثمانية من اولاده فاكرمه يزيد واعطاه مائة الف واعطى لكل واحد من بنيه عشرة الاف [٩] ، ولما رجع الوفد الى المدينة وبعدما راقبوا عن كثب فسوق يزيد وفجوره والذي كان صاحب طرب وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وظهر الغناء في ايامه في مكة والمدينة واستعمال الملاهي[١٠] ، وقال عبد الله بن حنظل مخاطباً اهالي المدينة :

((جئتكم من عند رجل لو لم اجد الا بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم)). فقالوا :

((انه اعطاك واكرمك!)). قال :

((وما قبلت منه الا لاتقوى به عليه)) [١١] .

فخلعوا يزيد وبايعوا عبد الله بن حنظلة [١٢] ،ومنعوا عامل الصوافي من حمل ما كان يحمله من تلك الصوافي من الحنطة والتمر ، فبلغ عامل يزيد

عثمان بن محمد بن ابي سفيان من منعهم عامل الصوافي فارسل الى جماعة منهم وكلمهم بكلام غليظ [١٣] .

رد اهالي المدينة على كلام عثمان ان اخرجوه ومن معه من بني امية من المدينة ونزلوا دار مروان بن الحكم الذي كتب الى يزيد يستغيثه[١٤] ، فتعجب يزيد من استغاثة مروان قائلاً للرسول : (اما تكون بنو امية ومواليهم الف رجل بالمدينة؟.). قال الرسول : ((بلا)). فقال يزيد :

((فما استطاعوا ان يقاتلوهم ساعة من نهار ؟)) . فقال الرسول :

((اجمع الناس كلهم عليهم ، فلم تكن لهم بهم طاقة!)) [١٥].

واستجاب يزيد لاستغاثة مروان فبعث الى عمرو بن سعيد ، وامره ان يسير الى المدينة فقال عمرو :

((قد كنت ضبطت الامور والبلاد فاما الان صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا احب ان اتولى ذلك)).فبعث الى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير في مكة ، فقال عبيد الله :

((والله لا جمعتها للفاسق – يعني يزيد – قتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغزو الكعبة)) فاعتذر له[١٦].

فوجه اليهم مسلم بن عقبة [١٧] على خمسة الاف رجل من اهل الشام[١٨] واوصاه بوصية جاء فيها : ((ان حدث بك حدث فلأمر الى الحصين بن نمير ، واذا دخلت المدينة فمن عاقك من دخولها او نصب لك حرباً فا لسيف السيف

ولا تبقي عليهم وانتهبها عليهم ثلاثاً [١٩] ... فكل ما فيها من مال او دابة او سلاح او طعام فهو للجند واذا مضت الثلاث اكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين (عليهما السلام) واستوص به خيراً [٢٠] ...)).

استعدادات اهالي المدينة امام جيش الشام :

تقاسم اهالي المدينة مسؤولية الدفاع عنها فكانوا ثلاث جماعات المجموعة الاولى احتفروا خندقاً من احد جوانبها وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف [٢١] ، وعلى الجانب الاخر كان عبد الله بن مطيع ، وعلى الربع الاخر من جانب المدينة معقل بن سنان الاشجعي واامير هذه الجماعات هو عبد الله بن حنظلة [٢٢] ، وارسلوا الى كل ماء بينهم وبين جيش الشام فصبوا فيه زقاً من قطران فغوروه [٢٣] ، واخذوا العهود والمواثيق على بني امية الذين اخرجوهم من المدينة ان لايلو على عورةٍ لهم ولا يبغونهم غائلة [٢٤] .

وصول جيش الشام :

وصل جيش مسلم بن عقبة (مسرف) الى وادي القرى [٢٥] حيث التقى ببني امية فدعا عمرو بن عثمان بن عفان فقال له : ((خبرني ما وراءك واشر عليَّ)). فال عمرو :

((لا استطيع قد أُخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدونا ...)). فانتهره مسرف وقال :

((والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك ...)) ، وخرج الى اصحابه واخبرهم ، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك :

((ادخل قبلي لعله يجتزىء بك عني)) فدخل عبد الملك على مسرف فقال له :

((هات ما عندك)) ، قال عبد الملك :

((ارى ان تسير بمن معك فاذا انتهيت الى نخل نزلت فاستظل الناس بظله واكلوا ... فاذا اصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم وردت بها حتى تاتيهم من قبل الحرة [٢٦] مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرقت عليم الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم اذاها ويرون من ائتلاف بيضكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه انتم ما داموا مغربين ثم قاتلهم واستعن الله عليهم)). فقال مسرف :

((لله ابوك أي امريء ولد !)) .وقال لابيه مرون لما التقاه : (أي رجل عبد الملك ! قلَّ ما كلمت من رجال قريش شبيها به) [٢٧] .

واخذ مسرف براي عبد الملك فجاء المدينة من جهة المشرق ثم دعاهم وقال :

((يا اهل المدينة ان امير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم انكم الاصل واني اكره اراقة دمائكم واني اؤجلكم ثلاثاً ... وانصرفت عنكم الى هذا الملحد [٢٨] الذي بمكة وان ابيتم كنا قد اعذرنا اليكم ...)) [٢٩].

وقعة الحرة:

وبعد مضي ثلاثة ايام قال مسرف مخاطبا اياهم : ((قد مضت الايام الثلاث فما تصنعون ؟ اتسالمون ام تحاربون؟)). قالوا : ((بل نحارب)) ، فقال لهم : ((لا تفعلوا بل ادخلو في الطاعة ونجعل شوكتنا على هذا الملحد ...)) ، فردوا عليه قائلين :

((يا اعداء الله والله لو اردتم ان تجوزوا اليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم نحن ندعكم ان تاتوا بيت الله الحرام وتخيفوا اهله ... وتستحلوا حرمته ...)) [٣٠] .

وخرج اهالي المدينة بجموعٍ كثيرة فهاب منظرهم جيش الشام وكرهوا قتالهم [٣١] وكان مسرف شديد الوجع فسبهم وذمهم وحرضهم على القتال [٣٢] ، وبينما القوم منشغلين في القتال اذ علا صوت التكبير من داخل المدينة حيث بنو حارثة امكنوا جيش الشام من دخول المدينة [٣٣] فانهزم الناس وقتل خلق كثير فدخل مسرف المدينة واستباحها ثلاثة ايام ينهبون ويسرقون ويعتدون على الحرمات واعتدوا على الف عذراء حتى ولدن ولم يُعرف من اولدهن [٣٤] وقيل انه قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن [٣٥] .

احداث ما بعد الوقعة:

وبعد استباحة مدينة رسول الله (صلى عليه وآله وسلم) من قبل جيش الشام وقائدهم دعا من بقي من اهالي المدينة لبيعة يزيدعلى انهم خول [٣٦] له

ومن امتنع عن ذلك قتله [٣٧] ، وطلب الامان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود ومحمد بن ابي الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الاشجعي فاتي بهم بعد الوقعة بيوم فقال لهم مسرف بايعوا على الشرط – يبايعوا انهم عبيد ليزيد - فقال يزيد بن عبد الله ومحمد بن الجهم :

((نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله) ، فضرب اعناقهما . فقال مروان :

(سبحان الله اتقتل رجلين اتيا بامان؟)) فطعن بخاصرته وقال :

((والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك)).

وجاء بمعقل بن سنان فجلس مع القوم فدع بشراب ليسقى فقال مسرف :

((أي الشراب احب اليك ؟)).

قال: (العسل).

قال : ((اسقوه)) فشرب حتى ارتوى فقال له : ((ارويت ؟)). قال :

((نعم)) فقال مسرف :

((والله لا تشرب بعدها شربة الا في نار جهنم)) فقتله [٣٨] .

ثم اتى مروان بالامام علي بن الحسين (عليهما السلام)والامام يمشي بينه وبين عبد الملك حتى جلس بينهما ... فقال له مسرف :

((أجئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان اليهما امر لقتلتك ولكن امير المؤمنين اوصاني بك...)) [٣٩] ، واخذ منه البيعة على انه اخ وابن عم. فقال (عليه السلام) :

((وان اردت ان ابايع على اني عبد قن فعلت)) ، فقال له :

((ما احشمك هذا)) [٤٠].

وكان مروان بن الحكم قد كلم ابن عمر في ان يكون اهله عنده فلم يفعل ، فكلم الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) وقال : ((ان لي حرماً وحرمي يكون مع حرمك)) فقال (عليه السلام) : ((افعل[٤١])) .

كانت هذه دراسة لاحداث الثورة وما ترتب عليها من فاجعة لمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد عزى البعض اسباب لهذه الثورة وكان في مقدمتها سخط اهالي المدينة على يزيد لقتله ابن بنت رسول الله (صلى الله عليهما) لاسيما ان المدينة كانت مستقراً لاهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبار الصحابة والتابعين [٤٢] ، وسبب آخر هو اسراف يزيد في المعاصي وشربه الخمر واتيانه المنكر وما يتبع ذلك من الفواحش التي من اكبرها ترك الصلاة بسبب السكر وهو خليفة المسلمين واميرهم [٤٤] .

وقد بين ذلك عبد الله بن حنظلة لاهالي المدينة بقوله : ((والله ماخرجنا على يزيد حتى خفنا ان تُرمى بالحجارة من السماء انه رجل ينكح امهات الاولاد والبنات والاخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة)) [٤٥] .

الهوامش:

١. المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ) ، التنبيه و الاشراف ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ص٢٨٠؛مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ) ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، ط١ ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٣) ، ج٢ ، ص٥٤؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، سعيد محمودعقيل ط٢ ، دار الجيل ، (بيروت ، ٢٠٠٥) ، ص٢٠٤.

٢. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٩) ، ج ٥ ، ص ١٥١، ١٦٥.

٣. اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر (ت: ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه : خليل المنصور ، ط ٢ ، (قم ، ١٤٢٥) ، ج ٢ ، ص١٥٣ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، (بغداد ، ١٤٢٨) ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

٤. السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٢ .

٥. اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٢ .

٦. اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

٧. اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص١٧٢ .

٨. المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٩ .

٩. الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الاسلام ،تحقيق : عمر عبد السلام ، ط ١ ، دار الكتان العربي ، (بيروت ، ١٤٠٧) ، ج ٥ ، ص ٢٣ ؛ ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ (ت: ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : احمد ابو ملحم واخرون ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٧) ، ج ٦ ، ص٢٦٢ .

١٠. المسعودي ، مروج الذهب ... ، ج ٣ ، ص٢٦٢ .

١١ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٥ ، ص٢٤ .

١٢ . ابن الاثير ،ى ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر، (بيروت ، ١٣٩٩) ، ج ٤ ، ص ١١١ ؛ مسكوية ، تجارب الامم ... ، ج ٢ ، ص٥٤ .

١٣ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

١٤ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ١٧٤ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشرلف ، ص ٢٧٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١١ .

١٥ . مسكويه ، تجارب الامم ... ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

١٦ . ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ،ص ١١١ .

١٧ . الذي عرف بمسرف لانه اسرف في القتل . ينظر : ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ .، ص ١١٢ .

١٨ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

١٩ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٩ ، ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٢ .

٢٠. ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٣ .

٢١ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص١٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ .

٢٢ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ ، ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص١١٥ .

٢٣ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٥ ، ص ٢٤ .

٢٤ . مسكويه ، تجارب الامم ... ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

٢٥ . هو وادي بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى فتحها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة ٧ هـ عنوة ثم صولحوا على الجزية . ينظر : الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٢٦٢هـ) ، معجم البلدان ، قدم له : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٤١٦) ، ج ٨ ، ص ٤٣٣ .

٢٦ . الحرة : ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها احرقت بالنار وجمعها حرات والمقصودة هنا هي حرة واقم احدى حرتي المدينة وهي الشرقية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص١٣٨ ،ص ١٤١ .

٢٧ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج٤ ، ص ٣٧٣ ؛ مسكويه ، تجارب الامم ... ، ج ٢ ، ص ٥٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٤ .

٢٨ . قصد به عبد الله بن الزبير .

٢٩ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص١١٥ .

٣٠ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص.١١٥

٣١ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٨١ .

٣٢ . ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

٣٣ . الطبري ، تاريخ الرسل ... ، ج ٤ ، ص ٣٨١ .

٣٤ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٤ ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٨٠ .

٣٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ٢٦٢ .

٣٦ . خول : العبيد والاماء . ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي بن احمد (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، تصنيف : يوسف الخياط ، (بيروت ، بلا) ، مج ١ ، ص ٩٢٣ .

٣٧ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص١٧٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل... ، ج ٤ ، ص ٣٨١ ؛ ابن الاثير، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٢ .

٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٨ ، ص ١١٩ .

٣٩ . ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

٤٠ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

٤١ . ابن الاثير ، الكامل ... ، ج ٤ ، ص١١٣ .

٤٢ . البيشوائي ، مهدي ، سيرة الائمة، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام) ، (٩ قم ، ١٤٢٣) ، ص ٢٢٧؛ القزويني ، محمد مرتضى ، خفايا اموية ، ط ١ ، دار العلوم ، (بيروت ، ١٤١٤) ، ص ٩٧ .

٤٣ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٥ .

٤٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص٢٦٢ .

٤٥ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٥ .